ملخّص ويسألون عن الطفوف وأسرارها (ح١١) / عبد الحليم الغزّي
الكفالة الحسينية (ج٣)
منزلة عقيلة بني هاشم صلوات الله عليها (ج١)
الثلاثاء : ٢/صفر/١٤٤٤هـ - الموافق ٣٠/٨/٢٠٢٢م

الجزءَ الثالثُ من عنواننا المتقدِّمِ في الحلقتين الماضيتين: **"الكَفَالَةُ الحُسينيّة"**.

وصلتُ معكم إلى نقطة مُهمَّة جِدّاً ترتبطُ بمنزلة العقيلة زينب صلواتُ اللّه عليها، وقلتُ وأنا أتحدَّثُ عن الكَفَالَة الحُسينيّة؛ "من أنَّ الكفيلَ الأصل هو الحُسَين"، والعبّاس وجهُ الحُسَين، العبّاس إذا كانَ كفيلاً فإن كَفَالَتهُ بالتفرّع، وكَفَالَةُ العبّاس إنَّما هي للشيعة وليست للعقيلة زينب، العقيلةُ زينب أعلى منزلةً من منزلة أبي الفضل فلنْ يَكُونَ كفيلاً لها بمعنى الكَفَالَة الدِّينيّة والعقائدية، أمَّا الكَفَالَةُ العُرفيّةُ والاجتماعيَّةُ أنْ يرعى شأنَ أختهِ فهذه ما هي بمنزلة وإنَّما هيَ حالةٌ أخلاقيّةٌ.

تناولتُ ما يرتبطُ بالمصطلحات الَّتي تصفُ مراتبَ الإيمان؛ الصدِّيقون، الشُّهداء، الصَّالحون، وهكذا، وقلتُ من أنَّ المصطلحات هذه لها دلالةٌ خاصَّةٌ حينَ نستعملها في أجواء الأئمَّة المعصومينَ الأربعة عشر، دلالَتُها خاصَّةٌ بهِم ومُنقطعةٌ عن دلالتها حينما نستعملُها معَ شيعتهم، جِئتكُم بمثال فيما يرتبطُ بالحمزة أسد اللّه وأسد رَسولهَ وبالطيّارِ جعفر صلواتُ اللّهِ عليهما، فالحمزةُ صدِّيقٌ والطيّارُ صدِّيقٌ، لكنَّ المنزلةَ الظاهرةَ لهما في أحاديث العترة الطاهرة هُما الشَّاهدانَ للأنبياء.

في الجزء الثامن من (الكافي الشريف) طبعةُ دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان، صفحة (٢١٣)، رقم الحديث (٣٩٢): **بِسَنده** - بِسند الكليني - **عَن يُوسُف بنِ أبي سَعيد، عَن إمَامنا الصَّادقِ صَلواتُ اللّه وسَلامُهُ عَلَيه** - الحديثُ فيه تفصيلٌ عن موقف نوحٍ النَّبي في يوم القيامة، أذهَب إلى موطن الشاهد: **فَقَالَ أَبُو عَبْد اللّه** - إمامنا الصَّادقُ صلَواتُ اللّه عليه - **فَجَعْفَرُ وَحَمْزَةُ هُمَا الشَّاهدَانِ لِلْأَنْبِيَاء بِمَا بَلَّغُوا** - هذا يعني أنَّ منزلةَ الحمزة وجعفر أعلى من منزلة الأنبياء وما هُما بِنَبيّين وإنَّما هُمَا من الصِّدِّيقين، منَ الشُّهداء، منَ الصَّالحين، المرادُ من الشُّهداءَ ليسَ الَّذينَ قُتلوا في المعارك والحمزة شهيدٌ من شُهداء المعارك وكذا الطيّارُ جعفر، لكنَّ الحديثَ عن الشهادة هُنا حديثٌ عن منزلة أعلى، إنَّها الشهادةُ على الخلائق، وهُنا حمزةُ وجعفر شاهدانِ للأنبياء - **فَقَالَ أَبُو عَبْد اللّه: فَجَعْفَرُ وَحَمْزَةُ هُمَا الشَّاهدَانِ لِلْأَنْبِيَاء بِمَا بَلَّغُوا، فَقُلْتُ** - الَّذي يتحدَّثُ هُنا هو الراوي يُوسُفُ بنُ أبي سعيد - **فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، فَعَلِيٌّ أَيْنَ هُوَ؟** - ألا يشهدُ للأنبياء؟! - **فَقَالَ: هُوَ أَعْظَمُ مَنْزِلَةً مِنْ ذَلك** - وعليٌ صدّيقٌ أيضاً نحنُ نَصفهُ بهذا الوصف، فصدِّيقيّةُ أمير المؤمنينَ شيءٌ وصدِّيقيّةُ حمزةَ وجعفر وأمثالهما شيء آخر، والصدِّيقيّةُ الَّتي نُوصَفُ بها نحنُ الَّذينَ آمنَّا بِمُحمَّد وآل مُحمَّد شيءٌ آخر.

العبّاس صلواتُ اللّه وسلامهُ عليه صدِّيقٌ، والعبّاس شهيدٌ، والعبّاس صالحٌ، وهذه الأوصافُ تنطبقُ على عقيلة بني هاشم فهي صدِّيقةٌ، وهي شَهيدةٌ، من الشهادة على الخلقَ الَّتي هي أعلى مَنزلةً منَ الشهادة في المعارك، وهي صالحةٌ وسيدةُ الصَّالحات، لكنَّ مَنزلةَ العقيلة في هذه العناوين أعلى من منزلة العبّاس في هذه العناوين.

روايةٌ عن ابنِ عبّاس بصدد الآية من سورة الحديد: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاء عِندَ رَبِّهِمْ**﴾، مثلُ هذه المضامين فإنَّ ابنَ عبّاس يرويها عن أمير المؤمنين صلواتُ اللّه وسلامهُ عليه.

في الجزء الثالث من مناقب آل أبي طالب/ لابنِ شهر آشوب المازندراني، من عُلماء الشيعة المعروفين/ المتوفّى سنة (٥٨٨) للهجرة/ طبعةُ دار الأضواء/ بيروت - لبنان/ الطبعةُ الثانية (١٤١٢) هجري قمري/ صفحة (١٠٨): **عَن ابنِ عَبّاس في قَوله تَعالَى: "وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّه وَرُسُله أُوْلَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ"؛ قَالَ: صدِّيقُ هَذه الأُمَّة عَلِيُّ بنُ أبي طَالب هُوَ الصِّدِّيقُ الأَكْبَر وَالفَارُوقُ الأَعْظَم، ثُمَّ قَالَ: "وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِم"؟ قَالَ ابْنُ عبّاس: وَهُم عَلِيٌّ وَحَمْزَةُ وَجَعْفَرُ فَهُم صدِّيقُون وَهُم شُهَدَاء الرُّسُل عَلَى أُمَمِهِم، قَدْ بَلَّغُوا الرِّسَالَة، ثُمَّ قَال: "لَهُم أَجْرُهُم عِنْدَ رَبِّهِم"؛ عَلَى التَّصديقِ بِالنُّبُوَّة وَنُورُهُم عَلَى الصِّراط** - موطنُ الشاهد هنا: عَلِيٌّ هُوَ الصِّدِّيقُ الأكبر وبعدَ ذلكَ جاء وصفُ علي وحمزةَ وجعفر فَهُم صدِّيقون، قطعاً نحنُ لا نُقايس حمزة وجعفر بأمير المؤمنين لا وجه للمقايسة مع عُلوّ شأنهما فَهُما من شيعته، لكنَّ هذا الاستعمالَ يأتي بسببِ ضيق اللغة، وحقائقُ الثقافة الدِّينيّة حقائقُ غَيبيّة، الحقائقُ الغَيبيّةُ أوسعُ من حقائقِ عالَم الشهادة عالم الطبيعة، واللغةُ كَينُونةٌ من سنخيّة عالَم الطبيعة فستبقى ضَيقةً مهما حاولنا أنَ نتوسّع فيها..

الرواياتُ وصفت عامّةَ الشيعةِ بنفسِ هَذه الأوصاف فحينما يقولُ أئمَّتُنا: (**من أنَّ شيعتَنا منَّا ونَحنُ منهُم**)، هذا الكلامُ:

- تارةً يكونُ مع العقيلة.
- وتارةً يكونُ مع العبّاس.
- وتارةً يكونُ مع سلمانَ المُحمّدي الفارسي.
- وتارةً يكونُ معنا نحنُ.

لابُدَّ أن نُراعيَ خصائص كُلِّ مَقامٍ بما هو هو، وأن نَحذَرَ حَذَراً شديداً أنْ نَخلطَ بَينَ خصائص المقامات، فحينئذ سنقعُ في خَلط وخَبط، الخَلطُ والخَبطُ هذا سيؤدِّي بنا إلى الضلال وإلى التيه، قاعدةُ حفظ المقامات، وقاعدةُ تَعدُّد الحيثيّات، فالعبّاسُ صدِّيقٌ، والصِّدِّيقيَّةُ أعلى رُتبةً منَ الشهادة، والشهادةُ أعلى رُتبةً منَ الصَّالحيَّة والصَّلاح، ولكنَّ المراتبَ منَ حيثيَّة أخرى ستكونُ في أفقٍ واحد حينما تجتمعُ هذه المراتبُ في ذاتٍ واحدة، فشهادةُ العبّاس تكونُ بمستوى صدِّيقيّته، وهكذا صلاح العبّاس سيكونُ بمستوى شهادته الَّتي هي بمستوى صدِّيقيته.

في تفسيرِ إمامنا الحسن العسكري صلواتُ اللّه وسلامهُ عليه، طبعةُ ذوي القربى/ قُمّ المقدَّسة/ الطبعةُ الأولى/ صفحة ٢٨٦/ الحديث (١٥٩)، حديثٌ طويل عن إمامنا الرضا صلواتُ اللّه عليه، أقرأُ جانباً منه ما أحتاجهُ في هذه الحلقة: أنَّ جَمعاً من الشيعة جاؤوا إلى إمامنا الرِّضَا وَاستأذَنُوا عَليه وَقَالُوا من أنَّنا من شيعَة عَلِيٍّ، الإمامُ صَرَفَهُم وَمَا أذنَ لَهُم وَمَا أدْخَلَهُم، الكلامُ فيه تفصيلٌ أذهبُ إلى موطنِ الحاجة، قَالَ لَهُم الإمامُ بَعدَ ذَلك: **وَيْحَكُم وَيْحَكُم** - الإمامُ قالَ هَذا ردّاً عَلى قَولهم من أنَّهم من شيعَة عليٍّ - **وَيْحَكُم إِنَّمَا شِيعَتُهُ** - شيعةُ عليٍّ من؟ - **الحَسَنُ والحُسَيْن وَسَلْمَانُ وَأَبُو ذَرّ** - المطبوع (وأبي ذرّ) وهو خطأٌ نحويٌّ واضح - **وَالْمِقْدَادُ وَعَمَّارُ وَمُحَمَّدُ بنُ أَبِي بَكر** - هؤلاء شيعةٌ عليٍّ، أنا وأنتم من شيعة عليٍّ؛ نعم بالمعنى العام لأنَّنا نُحبهُ نُواليه نَتبرأُ من أعدائه نُوالي أولياءه، نحنُ شيعةٌ بالمعنى العام، إذا كانَ النَّظر إلى الحيثيّة العامَّة فَنحنُ شيعةٌ، أمَّا إذا كَانَ النظرُ إلى الحيثيّة الخاصَّة فما نحنُ بشيعة نَحنُ مُحبّو عليٍّ، إلى هذا أرادَ إمامُنا الرِّضَا أنْ يُلفت أنظارَهُم وأن يُلفت أنظارنا.

- **وَمُحمَّدُ بنُ أبي بَكر الَّذينَ لَم يُخالفُوا شَيْئاً من أوَامرِه** - قطعاً كُلٌّ بحسبه - **وَلَم يرْتَكبُوا شَيْئاً من فُنُون زَوَاجرِه، فَأمَّا أنْتُم إذَا قُلتُم إنَّكُم شيعَتُهُ وَأنْتُم في أكْثَرِ أعْمَالكُم لَهُ مُخَالفُونَ مُقَصرونَ في كَثيرٍ منَ الفَرَائض وَمُتَهَاونُونَ بعَظيمِ حُقُوقِ إخْوَانكُم في اللّه وَتَتَّقُونَ حيثُ لَا تَجبُ التَقيَّة** - وهذا هو الَّذي تفعله الشيعةُ الآن - **وَتَتْرُكُونَ التَقيَّةَ حيثُ لَابُدَّ منَ التَقيَة، لَو قُلتُم إنَّكُم مُوَالُوه ومُحبوه وَالْمُوَالُونَ لأوْليَائه وَالْمُعَادُونَ لأعْدَائه لَم أنْكرهُ من قَوْلكُم، وَلَكن هَذه مَرتبَةٌ شَريفَة ادَّعَيتُمُوهَا من أنَّكُم شيعَةٌ إنْ لَم تَصدِّقُوا قَولَكُم بفعْلكُم هَلَكتُم إلَّا أنْ تَتَدَاركَكُم رَحْمَةٌ من رَبِّكُم** - الروَايَةُ مستمرّةٌ وطويلَةٌ لكنَّ ما قرأتهُ عليكم يوضِّحُ المطلب بشكلٍ جليٍّ لابُدَّ من حفظ المقامات، ولابُدَّ من تشخيص الحيثيّات.

في سورة المائدة، الآية الخامسة والسبعين بعدَ البسملة: ﴿**مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ** - هذه احفظوها فهو رسول سنحتاجُ إليها - **قَدْ خَلَتْ من قَبْلِه الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ**﴾، إلى آخرِ ما جاء في الآية الكريمة، فَهُو رسولٌ وأُمُّه صدِّيقةٌ، فمريمُ ما هي برسول ولا هي بنَبيّ، عيسى نَبيٌّ ورسول، قطعاً عيسى صدِّيق، قطعاً عيسى شهيد، قطعاً عيسى عبدٌ صالح، "وَأُمُّهُ صدِّيقَةٌ"، ﴿**وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ**﴾، إلى آخرِ الآية الكريمة، فمريمُ صدِّيقةٌ بصريح القُرآن.

في الجزء الأول من (الكافي الشريف)، طبعة دار الأسوة/ طهران - إيران/ البابُ الَّذي عنوانهُ؛ "بابُ مولد الزَّهراء فَاطمَة"، صفحة (٥٢٢)، الحديثُ الرابع: **عَن المفضَّل** - عَن المفَضَّلِ بنِ عُمَر - **عَن إمَامنَا الصَّادقِ صَلواتُ اللّه عَلَيه** - المفضَّلُ يسألُ الإمام الصَّادق - **مَن غَسَّلَ فَاطمَةَ؟** - باعتبارِ أنَّ المرأة تتولَّى امرأةٌ أمرها في تجهيزها في تغسيلها إلى الشؤونَ الأخرى - **الإمامُ الصَّادقُ قَالَ: ذَاكَ أميرُ الْمُؤْمنين** - هو الَّذي غسّلها - **المفَضَّلُ يَقُول: وَكَأنِّي اسْتَعْظَمْتُ ذَلكَ من قَوْله، فَقَال: كَأنَّكَ ضقْتَ بمَا أخْبَرتُكَ به؟! قَالَ، فَقُلْت: قَدْ كَانَ ذَاكَ جُعلْتُ فدَاك** - استغرب الأمر - **فَقَالَ لَهُ إمَامُنا الصَّادقُ: لَا تَضيقَنَّ فَإنَّهَا صدِّيقَةٌ وَلَم يَكُنِ يُغَسِّلُهَا إلَّا الصِّدِّيق، أمَا عَلمْتَ أنَّ مَريَم لَم يُغَسِّلهَا إلَّا عيسَى؟!** - لأنَّها صِدِّيقةٌ وعيسى صدِّيق ونَبيّ ومُرسَل.

- **سيدةُ آلِ عمران؛** هي مريم.

- **زُبدةُ آلِ عمران؛** عيسى.

لماذا هذ ه الخصوصيّة؟ القضيّةُ تعودُ بنا إلى الحُسَين، لأنَّ عيسى من جُنود الطالبِ بثأر الحُسَين، الحكايةُ واضحةٌ رجعنا إلى الحُسَين، كلَّما ابتعدنا كلَّما رجعنا، الحُسَينُ يُحاصرُنا هذه حقيقةٌ، أنا أتحدَّثُ عن الَّذينَ يعتقدونَ به عن شيعته لا شأنَ لي بالآخرين، إنَّهُ يُحاصرُنا، يُحاصرُنا في دواخلنا ويُحاصرُنا منَ الخارج.

في الآية الثالثة والثلاثين بعدَ البسملة من سورة آل عمران: ﴿**إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً** - آدمُ أبونا الأوّل، ونوحٌ أبونا الثاني - **وَآلَ إِبْرَاهِيمَ**﴾، آلُ عمران هُم من آلِ إبراهيم، فَعمرانُ النَّبي والِدُ مريم إسرائيليٌّ من ذُرِّيَّة يعقوب، ويعقوب ابنُ إسحاق، وإسحاق ابنُ إبراهيم، فآلُ عمران إبراهيميّون، لماذا خُصِّصت هذه الأسرة؟ عمران النَّبي ولم يَكُنْ مُرسلاً ولم تَكُن لَهُ رسالةٌ عامَّة، خُصوصيّتهُ: سينجبُ عيسى من خلال مريم، وخُصوصيّةُ عيسى: سيكونُ مُمَهِّداً.

في سورة الصف، الآية السادسة: ﴿ **وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ منَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي من بَعْدِي** - إنَّهُ مُمَهِّد، يُمهِّدُ للرسالة الأحمديّة والرسالةُ الأحمديّةُ في عصر التَّنزيل تُمهِّدُ للمشروع القائمي المهدوي الَّذي هو بدوره يُمهِّدُ للرجعة الَّتي غايتها الدولةُ المُحَمَّديَّةُ العُظمى، وعيسى يُمهِّدُ للرسالة الأحمدية من جهة وهُو جُنديٌّ في جيش القائم للثأر الحُسيني، هذه حقيقةُ الحكاية - **يَأْتِي من بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ**﴾، إلى آخر الآية الكريمة، ماذا قالَ لهم؟ **"يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم"**، فعيسى رسولٌ وصدِّيقٌ وشاهدٌ وصالحٌ، وجُنديٌّ من جنود صاحبِ الأمر قائمِ آل مُحمَّد، هذا هو السرّ في منزلة آل عمران، و هذا هو السر في عُلوِّ منزلة السيدة مريم فهي صدِّيقةٌ لكنَّها أعلى شأناً منَ الأنبياء في عصرها..

الآية الثالثة والثلاثين بعدَ البسملة من سورة آل عمران: ﴿**إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾، آلُ مُحمَّد ذُكروا في الآية وأسقطوهم، الرواياتُ أخبرتنا لا أريدُ أن أتحدَّثَ عن هذا الموضوع الآن، فآلُ عمران ذُكروا بعدَ آلِ إبراهيم، مع أنَّهُم هُم من آلِ إبراهيم لخُصوصيّة فيهم، ما هي هذه الخُصوصيّةُ؟ الخُصوصيّةُ أنَّ عمرانَ النَّبي بُشِّر بمولود عظيم، لكنَّ زوجتهُ أنجبت السيدة مريم، السيدةُ مريم كانَ لها من الشأن ما لَها لأنَّها ستحملُ عيسى، وعيسى سيكونُ مُبشِّراً بأحمد، بالرسالة الأحمديّة الَّتي هي تَمهيدٌ للمشروع القائمي، والمشروعُ القائميّ مُحركهُ حُسَينٌ صلواتُ اللّه وسلامهُ عليه، البدايةُ من عَاشُوراء ألا تُلاحظونَ عظمةَ أسرارِ عاشُوراء؟!

من هُنا كانَ الفارقُ بينَ عيسى ويحيى، فعيسى بِشارتهُ هي البشارةُ الأصل، وكانَ اليهودُ ينتظرونَ المولودَ الَّذي بُشِّرَ به عمرانُ النَّبي، قطعاً أتحدَّثُ عن اليهود العَارفينَ والمنتظرينَ لذلكَ المولود، أمَّا يحيى فقد جاءت البِشارةُ به بعدَ ذلك، وبطلبٍ من زكريّا أنْ يُرزَقَ بمولود يجري عليه ما يجري أسوةً بالحُسَين.

في الرواية الَّتي نقلها لَنا سعدٌ الأشعري عن إمامِ زماننا حينما ذهبَ إلى سامراء، أيَّام إمامة إمامنا الحسن العسكري، وسعدٌ الأشعري هذا من كبارِ مشايخ قُم ومن عُيون الشيعة في قُم كانَ يحملُ أسئلةً، إمامنا العسكريّ قالَ لهُ خذ الأجوبةَ من الحُجَّة بنِ الحسن، فَلمَّا سَألَ إمام زماننا آنذاك عنَ تأويل "كهيعص"، وحدَّثهُ بما حدَّثهُ إلى أن قَالَ لهُ، في (كمال الدين وتمام النعمة)، لشيخنا الصَّدوق المتوفَّى سنة (٣٨١) للهجرة، طبعةُ مؤسَّسة النشر الإسلامي، قم المقدَّسة، صفحة (٤٨٨): **بعدَ أن عَلمِ زكريَّا بأسرارِ "كهيعص"** - عَلمِ بما يجري على الحُسَين - **فَكَانَ يَقُول: اللَّهُمَّ ارْزُقْني وَلَداً تَقَرَّ به عَيْني عَلَى الكبرِ وَاجْعَلْهُ وَارِثاً وَصياً وَاجْعَل مَحَلَّهُ منِّي مَحَلَّ الحُسَين** - محلَّ الحُسَينِ من رسُولِ اللّه هذا مُرادهُ - **فَإذَا رَزَقْتَنيه فَافْتنِّي بحُبِّه ثُمَّ فَجِّعني به كَمَا تُفَجِّعُ مُحَمَّداً حَبيبكَ بوَلَده** - فيحيى جاءت بِشارتهُ متأخِّرة بعدَ البِشارة بعيسى، ويحيى جاءَ مُواساةً للحُسَين بينما عيسى جاءَ ثائراً، من هُنا عُلوّ منزلة عيسى، ومن هُنا عُلوّ منزلة أُمِّه.

في سورة آل عمران، الآية السابعة والثلاثين بعدَ البسملة: ﴿**وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا**﴾، زكريَّا كفَّلها في هذه الأجواء: ﴿**فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ** - هُناكَ عنايةٌ إلهيّةٌ خاصَّةٌ بها وليست من زكريَّا النَّبي - **وَأَنبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً** - عنايةٌ خاصَّة - **وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً** - رِزْقاً لا يُشابهُهُ شيء ممَّا هو موجودٌ في زمانهم ومكانهم، فلو كانَ زكريَّا في كَفَالَته لمريم كانت الكَفَالَةُ عقائديَّةً دينيَّةً لَمَا استغربَ من وجود هَذا، لأنَّ الكَفَالةَ كانت كَفَالةً عُرفيَّةً اجتماعيَّةً، لأنَّ زكريَّا من أقربائها، وفي الوقت نفسه القضيَّةُ كانت نتيجةَ قُرعة - **قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَـذَا** - هُو الَّذي يرعاها في شؤونِ حياتها اليوميَّة في طعامها وشرابها وسائرِ أمورها - **قَالَتْ هُوَ منْ عند اللّه إنَّ اللّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بغَيْرِ حسَابٍ** - هذه الكَفَالَةُ الإلهيَّةُ الحقيقيَّةُ لمريم، لَمَّا أدركَ زكريَّا الكَفَالَةَ الإلهيَّةَ لمريم ورأى ما رأى فماذا صنعَ؟ - **هُنَالكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي من لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاء ۞ فَنَادَتْهُ الْمَلآئكَةُ وَهُوَ قَائمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللّه وَسَيِّداً وَحَصُوراً وَنَبِيّاً مِّنَ الصَّالحِينَ**﴾، فَهُوَ من الصَّالحين يحيى ومن الشُّهداء أيضاً وهُوَ من الصِّدِّيقينَ ومن الأنبياء لكن لم يَكُن رسولاً كعيسى، فَبيَّنَ جبرائيلُ لزكريَّا ما يجري على الحُسَين، ولَمَّا دخلَ على مريم ووجدَ عندها رزقاً فتوجَّهَ إلى اللّه بهذا الدُّعاء: ﴿**قَالَ رَبِّ هَبْ لِي من لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً**﴾، هذه الذُّريَّةُ الطيبة الَّتي يجري عليها ما جرى على الحُسَين مُواساةً.

في سورة مريم، الآية الثانية بعدَ العاشرة بعدَ البسملة، قارنوا بينَ ما جاء في سورة مريم بخصوص يحيى وبينَ ما جاء بخصوص عيسى: ﴿**يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً ۞ وَحَنَاناً مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيّاً ۞ وَبَرّاً بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّاراً عَصِيّاً ۞ وَسَلاَمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيّاً**﴾.

جاءَ في عيسى النَّبي في الآية الثلاثين بعدَ البسملة من سورة مريم وما بعدها: ﴿ **قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ** - حينما تكلَّم وهُو في المهد - **آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً ۞ وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً ۞ وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً** - الفارقُ في المنزلة هُنا، في يحيى جاءَ السَّلامُ عليه من اللّه: "**وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيّاً**"، السَّلامُ من اللّه عبرَ الملائكة، بينما عيسى سَلَّم على نَفسه لأنَّهُ هو الَّذي مَثَّلَ اللّهَ في السَّلامِ على نفسه، فقال: **وَالسَّلَامُ عَلَيَّ** - هو الَّذي سَلَّمَ على نفسه - **وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً**﴾، مثلما يُسَلِّمُ رسولُ اللّه على نفسه في صلاته حينما كانَ يُصلِّي بالمسلمين فإنَّهُ في آخر الصَّلاة يقول: (السَّلامُ عليكَ أيُّها النَّبيّ ورحمةُ اللّه وبركاته)، وحينما يتشهَّدُ: (وأشهدُ أنَّ مُحمّداً عَبدهُ ورَسُولُه)، وفي بعض الأحيانِ يقول: (وَأَشْهدُ أنِّي عَبدُ اللّه وَرَسُولُه)، فَهُنا عيسى يُسَلِّمُ على نفسهِ يُمَثِّلُ اللّه في السَّلامِ على نفسه، بينما في يحيى فإنَّ السَّلامَ جاءَ بصيغة الغائب: "**وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيّاً**"، كانَ الحديثُ عن السيِّدة مريم وعن أنَّ شأنها أعلى من شأن زكريَّا لتقريب الفكرة ليس إلَّا..

• **وقفةٌ عندَ أبي الفضل العبَّاس صلواتُ اللّه وسلامهُ عليه بنحوٍ موجزٍ وسريع.**

هكذا نُسَلِّمُ عليه: **السَّلامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا العَبْدُ الصَّالِحُ المُطِيعُ للّه وَلِرَسُولِه وَلأَمِيرِ المُؤْمِنِين** - إلى آخر الزيارة، فنحنُ حينما نُسَلِّمُ في تسليم الصَّلاة على عباد اللّه الصَّالحين في رأس القائمة أبو الفضل صلواتُ اللّه عليه، فعلى أيِّ عبادٍ صالحين نحنُ نُسلِّمُ عليهم في صلاتنا؟ هذا في الزيارة المطلقة المعروفة الَّتي يُزارُ بها العبّاسُ صلواتُ اللّه عليه.

في زيارة الحسين في العيدين، في مفاتيح الجنان، حينما نزور العبّاسَ في مشهده الشريف هكذا نُسَلِّمُ عليه: **السَّلامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا العَبْدُ الصَّالحُ وَالصِّدِّيقُ المُواسي** - فالعبّاسُ صدِّيقٌ، والعبّاسُ شهيدٌ، شهيدٌ على الخلائق، هُوَ شهيدٌ في المعركة لكنَّني حينَ أقولُ شَهيدٌ الحديثُ عن الشهادة على الخلق الَّتي هي أعلى منزلةً من الشهادة في المعركة، والعبّاسُ عبدٌ صالحٌ والعبّاسُ وجهُ الحُسين والعبّاسُ كَفيلٌ بالتفرّعِ كَفيلٌ للشيعة، العبّاسُ كَفيلٌ للحُسينيين، وليس كَفيلاً للعقيلة زينب، العبّاسُ كفيلٌ للشيعة لأنَّهُ وجهُ الحُسين صلواتُ اللّه وسلامهُ عليه.

العبّاسُ صلواتُ اللّه عليه يُحدِّثُنا إمامُنا السجّادُ عن مَنزلته في كتاب (الخصال) للصَّدوق، طبعةُ مؤسَّسة النشر الإسلامي، قم المقدَّسة، الصفحة الثالثة والتسعين، الروايةُ الأولى بعدَ المئة عن إمامنا السجَّاد، أقرأ منها ما يرتبطُ بحديثي: **وَإِنَّ للعَبَّاس عندَ اللّه تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمَنْزِلَةً يَغْبِطُهُ بِهَا جَمِيعُ الشُّهَدَاء يَومَ القِيَامَة** - المرادُ من الشُّهداء هُنا قطعاً بالدرجة الأولى الَّذينَ قُتلوا في المعارك، الَّذينَ قُتلوا في سبيل اللّه بقرينة: أنَّ الروايةَ تحدَّثت عن الطيّار جعفر ومن أنَّهُ قُطعت يداه في القتال، قطعاً حمزةُ سيكونُ داخلاً في هذا العنوان لأنَّهُ قُتلَ في المعركة، والطيّارُ جعفر كذلك، فحمزةُ والطيّارُ جعفر من الَّذينَ يغبطونَ العبّاسَ على منزلته، أنا لا أريدُ أن أُنكر الوجهَ الثاني للرواية من أنَّ الشُّهداءَ هُم الَّذينَ يشهدونَ على الخلائق، لكنَّ الكلامَ سيكونُ حينئذٍ في مقامٍ معيّن، لأنَّ مُحمّداً وآلَ مُحمّدٍ هُم الشُّهداء على جميع الخلائقِ بحسبِ منزلتهم.

العقيلةُ زينبُ من الشُّهداء ولكن ليسَ من الشُّهداء في المعركة، منَ الشُّهداء على الخلق.

عقيلة العقائل إمامنا السجَّادُ يُخاطبها: "**وَأَنْتِ بِحَمْدِ اللّه عَالِمَةٌ غَيرُ مُعَلَّمَة فَهِمَةٌ غَيرُ مُفَهَّمَة**"، هذه هي زَينب، في (احتجاج الطبرسي)، طبعةُ مؤسَّسة الأعلمي، بيروت، لبنان، الجزء الثاني صفحة (٣٠٥)، إمامنا السجَّادُ صلواتُ الله عليه يقولُ لعمَّته: "**وَأَنْتِ بِحَمْدِ اللّه عَالِمَةٌ غَيرُ مُعَلَّمَة فَهِمَةٌ غَيرُ مُفَهَّمَة**"، هذه كَينونةٌ مُختلفةٌ عن الآخرين؛ إنَّني أتحدَّثُ عن الشيعة الآخرين من أصحاب المنازل العالية.

العبّاسُ صلواتُ اللّه وسلامهُ عليه كما يقولُ إمامُنا الصَّادقُ: (**كَانَ عَمُّنا العَبَّاسُ ابنُ عَلِيٍّ نَافِذَ البَصِيرَة صُلْبَ الإِيمَان**)، هذا المضمونُ جزءٌ ممَّا نقرؤهُ في زيارته الَّتي وردت عن إمامنا الصَّادق أيضاً، هكذا نُخاطبهُ في أوَّل زيارته الشريفة، في مفاتيح الجنان: (**يَا ابْنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَشْهَدُ لَكَ بِالتَّسْلِيمِ وَالتَّصْدِيقِ وَالوَفَاءِ وَالنَّصِيحَة** - لمن؟ للحُسين - **لِخَلَفِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيه وَآله الْمُرْسَل وَالسِّبْطِ الْمُنْتَجَب وَالدَّلِيلِ العَالِمِ وَالوَصِيِّ المُبَلِّغ**)، الإمامُ الصَّادقُ يتحدَّثُ عن عمِّه العبّاس كي يرسمَ لنا علاقتَهُ بالحُسين، قطعاً هذه المعاني في أرقى ما تكون، "**أَشْهَدُ لَكَ بِالتَّسْلِيمِ**"، أرقى معنى للتسليم الَّذي يتناسبُ مع كينونة العبّاس، لا معي ولا معكم.

حينَ يقول لهُ يا ابنَ أمير المؤمنين هو لا يتحدَّثُ عن النَّسب العائلي، نحنُ في أجواء الغَيبِ والعقيدة الإيمانيَّة الكاملة، إنَّها العلاقةُ الحقيقيّةُ الربَّانيّة..

في عقيلة بني هاشم: "**وَأَنْتِ بِحَمْدِ اللّه عَالِمَةٌ غَيرُ مُعَلَّمَة فَهِمَةٌ غَيرُ مُفَهَّمَة**"، فَعلمُها من دُون تعليم، وفَهمُها من دُون تفهيم، هذا الأمرُ يرتبطُ بمستوى الفَطم الَّذي هي عليه، لأنَّ فَاطمةَ فَطَمَت ذُرِّيَّتها وشيعَتَها من النَّار، العبّاسُ ما هو من ذُرِّيَّتها من ذُرِّيَّة فَاطمَة، العبّاسُ من شيعتها، العبّاسُ من أبنائها لأنَّها أُمُّ المؤمنين، ذُرِّيَّةٌ فَاطمَة لها خُصوصيَّةٌ، لا أتحدَّثُ عن ذُرِّيَّة بَشريَّة عاديّة، لهذا نحنُ نَحتاجُ إلى معرفة معنى الأسرة بحسبِ المنطق النُّوري، فَفَاطمَةُ حينَ فَطَمَت ذُرِّيتها مُستوى الفطم يختلفُ عن مستوى الفَطم لشيعتها.

مُستوى الفَطم عندَ العبّاس قطعاً دونَ مستوى الفَطم عندَ العَقيلة، المرادُ من الفَطم؛ "الانتماءُ إلى فَاطمَة"، أتحدَّثُ عن الانتماء الحقيقي، فَفَاطمَةُ هي الَّتي فَطَمَت ذُرِّيتها وفَطَمَت شيعَتها فَطمَتهُم منَ النَّار وعَن النَّار، وهذه منازل؛

- الفَطمُ منَ النَّار منزلة.

- والفَطمُ عَن النَّار منزلةٌ أخرى.

هذه منازل، هذه مراتب، مراتبُ ذُرِّيتها ومَراتبُ شيعتها.

العقيلةُ من ذُرِّيَّةَ فَاطمَة في المستوى الأوّل، قطعاً دُونَ الحَسَنِ والحُسَين، فَذُرِّيَّةُ فَاطمَة في المستوى الأوّل على مراتب، الحَسَنُ والحُسَين يَختلفانِ عن العقيلة صلواتُ اللّه عليها، الحَسَنُ والحُسَين منَ الأئمَّة المعصومينَ الأربعةَ عشر، العقيلةُ من شيعتهم لكنَّها من ذُرِّيَّة فَاطمَة، مستوى الفَطمِ عندَها أعلى من مستوى الفَطمِ عندَ العبّاس، من هُنا كانت عالمةً غَيرَ مُعلَّمة من دُون تَعليم، وفَهِمَةً غَيرَ مُفهَّمة، وهذه عصمتُها.

في سورة الأنبياء، الآية التاسعة والسبعين بعدَ البسملة، في الآية الَّتي قبلها: ﴿**وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ** - حكايةٌ حدثت في زمان داوود وسُليمان، "الحرث"؛ حقولُ الزراعة، "نَفَشَت فيه"؛ هَجمَت عَليه لَيلاً وأكلت ما أكلت - **فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ** - فَسُلَيمانُ كانَ بحاجةٍ إلى تفهيم - **وَكُلّاً آتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً**﴾، فَسُلَيْمانُ نَبيّ، سُليمانُ عبدٌ صالِح، شَهيدٌ، صدِّيقٌ، نَبيّ، لكنَّهُ لم يَكُن مُرسلاً كانَ نَبيّاً، فكانَ مُحتاجاً إلى تفهيم.

وهذا المضمونُ هو الَّذي يأتي في وصف فقهاء الشيعة بحسبِ موازين العترة الإمامُ الصادقُ يقول: (**فَإِنَّا لَا نَعدُّ الفَقيه منهُم** - من فقهاء الشيعة، من رواة الحديث وليس من مراجع حوزة الطوسي الَّذينَ لا يفقّهونَ شيئاً من الحديث - **فَقِيهاً حَتَّى يَكُونَ مُحَدَّثاً** - فحينما سَألوه: **يَا ابْنَ رَسُول الله أَوَيَكُونُ الْمُؤْمِنُ**

- من شيعَتِكُم - **مُحَدَّثاً؟ قالَ: يَكُونُ مُفَهَّماً** - عمليّةُ تفهيم من الخارج، الَّذي يُفَهِّمهُ إمامُ زَمانهِ في كُلِّ زمان - **فَقالَ: يَكُون الْمُؤْمِن مُفَهَّماً وَالْمُفَهَّمُ مُحَدَّث**)، عمَليةُ تَفهيم.

العقيلةُ في غنىً عن هذا، وهذا يُثبتُ حُجيَّتها فَهي حُجَّةٌ علينا، قطعاً حُجيَّتها تتفرَّعُ عن حُجيَّة أُمِّها عن حُجيَّةِ مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّد؛ "**وَأَنْتِ** - هكذا يقولُ السجّادُ لها - **وَأَنْت بِحَمْد اللّه عَالمَةٌ غَيرُ مُعَلَّمَة** - من دون تَعليم - **فَهِمَةٌ غَيرُ مُفَهَّمَة**".

فَسُليمان النَّبي بِحاجَة إلَى تفهيم؛ ﴿**فَفَهَّمْنَاهَا**﴾، وسُليمان النَّبي هو الَّذي وَصيُّهُ آصف بنُ برخيا الَّذي جاءَ بعرش بلقيس من اليمن إلى فلسطين إلى الشام، في سورة النمل، الآيةِ الأربعين بعدَ البسملة من السورة: ﴿**قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ** - وبحسبِ تأويلهم لِقُرآنهم فإنَّ آصف كانَ عندهُ حرفٌ واحد من حروف علم الكتاب، كانَ عندَهُ حرفٌ واحد وبهذا العلم جاءَ بالعرشِ من اليمنِ إلى بلاد الشام إلى حيثُ كانَ سُليمان - **أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ**﴾ ، قَبلَ أن يرتدَّ إليكَ طَرْفُك، في الآنِ نَفسه، في اللحظة نفسها، فجاءَ به، حكايةُ آصف وحكايةُ عرش بلقيس لا أريدُ أن أقفَ عندَها طويلاً، إنَّما جِئتُ بحكايةِ آصف كي نعرفَ عَظمَةَ العُلُوم الَّتي عند الأنبياء، فآصفُ دُونَ سُليمانَ، والَّذي عِندَ آصف حرفٌ واحد، وسُليمانُ بحاجةٍ إلى تفهيم، عقيلةُ بني هاشم مثلما قالَ لها السجَّادُ: (وَأَنْت بِحَمد اللّه عَالمةٌ غَيرُ مُعَلَّمَة وَفَهِمَةٌ غَيرُ مُفَهَّمَة).

من هُنا فإنَّني أفهمُ ما نُقل عنها لاَ أريدُ أنَ أفرضَ هذا الفهمَ عليكم إنَّما أنقلهُ لكم:

في الجزء الخامس والأربعين من (بحار الأنوار) للمجلسي، طبعةُ دارِ إحياء التراث العربي/ بيروت - لبنان/ صفحة (١٠٨) المجلسي ينقلُ عن ابنِ طاووس، عن السيد ابن طاووس في كتابه اللهوف، أذهبُ إلى موطن الحاجة، لَمَّا دَخلت قَافلةُ السَّبايَا إلى الكُوفة وخرجَ الكُوفيّون وازدحموا حولها، الأسرى على النِّياق والبعض منهم قد رُبِطوا بالحبال خصوصاً الأطفال الصغار الَّذينَ لا يُحسنونَ الركوبَ على النياق، العقيلةُ صلواتُ اللّه عليها في وسط الكوفيين، في وسط الكوفة هكذا جاءَ في الخبر: **وقد أومأت إلى النَّاس** - الكُوفيونَ ازدحموا؛ فيهم الشَّامت، فيهم العدو، لكنَّ أكثر النَّاس كانت تبكي، كانَ البكاءَ في كُلِّ مكان - **فجعلَ أهلُ الكُوفَة يَنوحُونَ ويَبكون، فقالَ عليٌّ بنُ الحُسَين: أتَنوحونَ وتبكونَ من أجلنا فَمَن قَتَلَنا فَمَن قَتَلَنَا؟!!!**

العقيلةُ كما يروي بَشير بن خُزيم الأسدي يقول: **وقد أومأت إلى النَّاس** - أشارت إلَيهم - **أَنْ أسكُتُوا** - إنَّها تُريد أنْ تتكلَّم، فما الَّذي حَدث؟ - **فَارْتَدَّت الأَنْفاس وسَكنَت الأَجْرَاس** - "فارتدَّت الأنفاس"؛ يعني أنَّ الَّذ ينَ كانوا ينوحونَ ويَبكون صمتوا انقطعت أصواتهم، "وسكَنت الأجراس"؛ الأجراس تكونُ جمعاً في لُغة العرب لكلمة جرس، وتكونُ جمعاً لكلمة جَرس، وفارقٌ بينَ المعنيين، وإنْ كُنتُ أرجِّحُ أنَّ الجمعَ لجَرس ولَيس لجَرْس، سَأُبَيِّنُ لكم مَقصدي:

الأجراس إذا كَانت جمعاً لجَرْس ؛ فإنَّ الجَرْس هُو الصَّوت، صَوتي جَرْسي، يعني أصواتَ البشر وأصواتَ الحيوانات، نحنُ هُنا نتحدَّثُ عن البشر.

وإذا كانت الأجراس جَمعاً لجَرَس ؛ الجَرَس هو الجُلْجُل الَّذي يُوضَعُ في أعناق الحيوانات، خُصوصاً في أعناق الإبل،

الَّذي أعتقدهُ بحسبِ فهمي للصورة العامَّة للحَدَث: فالعقيلةُ على النَّاقة، الأسرى على النِّياق ما أنزلوهم إلى الأرض، وحتَّى لو أنزلوهم إلى الأرض فإنَّ النِّياقَ بقيت موجودةً في المشهد، والجلاجلُ في أعناقها لابُدَّ أن يُعلِّقوا الجلاجِلَ في أعناقها عندهم أسرى، وجلاجلُ الإبل تتحرَّكُ بسهولة لو مر الهواءُ عليها يُحركُها فما بالُكم والأجواءُ مُضطرمة مُضطربة، فإنَّ الأصواتَ ستكونُ كثيرةً، العقيلةُ حينما أومأت بيدها النَّاس سكتوا، هل النَّاس مُطيعونَ للعقيلة إلى هذا الحد؟! جلاجلُ الحيوانات كيف سكنت، كيف هدأت هذه الأجراس؟! هُناك حيوانات وعندها أجراس كيفَ سكنت؟! هذهِ وَلايةٌ، هذهِ الإيماءةُ فَرعٌ من وَلايتها، وَولايتها فرعٌ من علمها، فهذا العلمُ الَّذي يتحدَّثُ عنهُ السجَّاد هُو علمٌ من آثاره وَلايةٌ على الأشياء.

"**فارتدَّت الأنفاس وَسكنت الأجراس**"؛ حتَّى الأجراس الَّتي في أعناقَ الحيوانات هَدأت، لِماذا؟ لأنَّ المسؤولة الأولى في الإعلام الحُسينيّ تُريدُ أنْ تُصدرَ بَيَانَها، هذا هو السّبب.

إنَّها العَالِمةُ غيرُ الـمُعَلَّمة، وَالفَهِمَةُ غَيرُ الـمُفهَّمة، عَقيلةُ بني هاشم صلواتُ اللّهِ وسلامهُ عليها.